

محاضرات وندوات مصورة - الجزائر - مختلفة - محاضرة (١٢) : لقطات وخواطر إيمانية ((وعد الله))

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٣-١٠-٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهن يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهن ، إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن بحور الشهوات إلى جنات القربات.

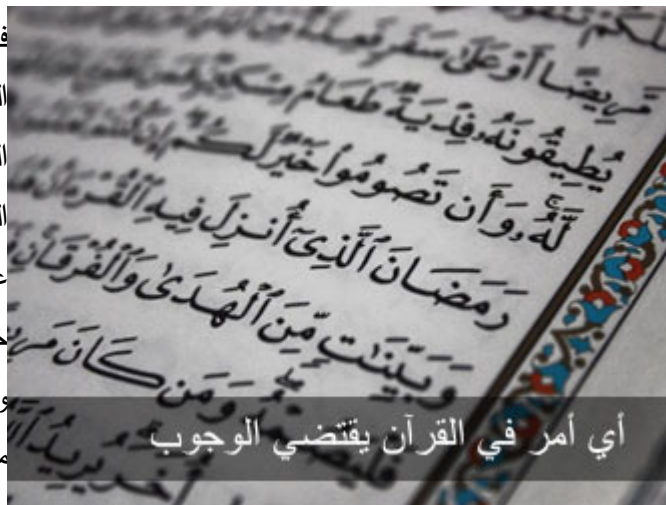
أيها الأخوة الأحباب ؛ أشكر لكم هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم ، وإن وجدتم فيما سأقوله لكم في هذا اللقاء الطيب ما كنتم تتوقعونه فلفضل الله وحده ، وإن لم تجدوا ما كنتم تتوقعون فحسبكن الله ونعم الوكيل . أيها الأخوة الأكارم ؛ الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي .

لذلك أثرت في هذا اللقاء الطيب أن أقدم لكم بعض الخواطر المتعلقة بآيات الجزء الأخير من القرآن الكريم .

وعود الله

بادئ ذي بدء : الحقيقة الدقيقة التي قد تغيب عن معظم المسلمين أن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، بل إن علماء الأصول يقولون علة أي أمر أنه أمر .

فيا أيها الأخوة الأحباب ؛ إذا فتحت القرآن الكريم لتقرأ أي أمر تأتي في القرآن اعتقد يقيناً أن هذا الأمر يقتضي الوجوب ، ومن توهم أن الإسلام عبادات شعائرية ليس غير ، وقع في خطأ كبير ، الإسلام مجموعة أوامر ونواهي تغطي كل شؤون الحياة ، وتبدأ من فراش الزوجية وهو أخص خصوصيات الإنسان ، وتنتهي



بالعلاقات الدولية ، منهج كامل .

لذلك بعضهم يقول ، وأدع لكم ما إذا كان هذا الكلام صحيحاً ، هذا الإسلام ينبغي أن يؤخذ كله حتى نقطف ثماره ، أما أن أصطفي منه ما أشاء ، وما يعجبني وما لا يعجبني ، والأشياء البسيطة أفعالها والمتعبة أتركها ، بهذا لن يتحقق ما يطمح المسلمون إليه .
إخوتنا الكرام ؛

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة النور الآية : ٥٥]

بربكم لا تقولوا ، فكروا في الحقيقة المرة التي هي أفضل ألف مرة من الوهم المريح هل نحن مستخلفون في الأرض ؟ وعد ، زوال الكون أهون عند الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين ومع ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

[سورة النور الآية : ٥٥]

أي دين وعد بتمكينه ؟ الدين الذي يرتضيه الله ، قد نفهم الدين فهماً خاطئاً ، قد نفهم الدين مظاهر ، قد نفهم الدين أناشيد ، قد نفهم الدين مظاهر كبيرة ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

[سورة النور الآية : ٥٥]

يعني قد يقول الواحد منا نحن لسنا مستخلفين ، ولسنا ممكنين ، ولسنا آمنين ، وهذا وعد إلهي ، الجواب بكلمة واحدة تنتهي بها هذه الآية :

﴿ يَعْْبُدُونِي ﴾

[سورة النور الآية : ٥٥]

فإذا أخل الطرف الآخر بما عليه من عبادة فانه جل جلاله في حل من وعوده الثلاث لذلك قالوا : الحرب بين حقين لا تكون ، مستحيل ! الحق لا يتعدد ، وبين حق وباطل لا تطول لأن الله مع الحق ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟.

((ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته ، فتكيدته أهل السماوات

والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً ، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك

من نيته إلا جعلت الأرض هويّاً تحت قدميه ، وقطعت أسباب السماء بين يديه))

[حديث قدسي]

أيها الأخوة الكرام ؛

﴿ يَعْْبُدُونِي ﴾

إن قصرنا في العبادة دفعنا الثمن باهظاً ، الله عز وجل كما قلت قبل قليل زوال الكون أهون عنده من أن ألا يحقق وعوده للمؤمنين ، فإذا أردنا أن نستعيد أمجاد المسلمين ، إذا أردنا أن ننقل هذا الإسلام إلى أهل الأرض كما خصنا الله بذلك .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٤٣]

اختار الله هذه الأمة لتكون وسيطةً بينه وبين خلقه لذلك قال الله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١١٠]

هذه الخيرية ، لكن علماء اللغة يقولون : كنتم في هذه الآية بمعنى أصبحتم ، يعني أصبحتم بهذه الرسالة

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

ما علة الخيرية ؟

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١١٠]

فإذا لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر فقدنا خيرتنا ، عندئذ الوعد الإلهي لا يتحقق والخيرية لا تكون بل نحن إذا كأي أمة خلقها الله .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾

[سورة المائدة الآية: ١٨]

إن لم نبحث في علة الخيرية ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ - الصحابة صعقوا - قالوا : يا

رسول الله ، وإن ذلك لكائن ؟ قال : نعم ، وأشد ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ، ونهيتم عن

المعروف ؟ قالوا : يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال : نعم ، وأشد كيف بكم إذا رأيتم

المعروف منكراً والمنكر معروفاً))

[أخرجه زيادات رزين]

يعني لتقريب بيت من الشعر دخل الشاعر السجن في عهد عمر لأنه قال هذا البيت ماذا قال ؟ قال:

دع المكارم لا ترحل ببغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي



هذا شعار كل إنسان الآن ما دام دخله كبير ، بيته واسع ، زوجته أمامه بأبهى زينة أولاده ، معه دخل ، معه مصروفه ، كل أسبوع في عنده نزهة ، بقلك وعلى الدنيا السلام ، هذا البيت التي عدته العرب أهجا بيت قاله شاعر ، ودخل الشاعر السجن في عهد سيدنا عمر ، شعار كل إنسان ، لذلك :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١١٠]

فإن لم نكن كذلك .

﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾

[سورة المائدة الآية : ١٨]

أيها الأخوة ؛ سامحوني لعل في بعض كلماتي حقائق مرة لكنني والله أراها أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، في كلام سهل جداً يدغدغ مشاعركم جميعاً ، بس عنا مشكلة ، السؤال الكبير أين الخلل ؟ يعني أمة بتعد مليار وثمانمائة مليون ، وفي الحديث الصحيح : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((وَلَنْ يُغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ آلَافًا مِنْ قَلَّةٍ))

[أخرجه الترمذي ، وأبو داود]

مليار وثمانمائة مليون ليست كلمتهم هي العليا ، وليس أمرهم بيدهم ، وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل .

إذاً أيها الأخوة ؛ لا بد من عودة ، لا بد من مراجعة الحسابات ، لا بد من إعادة المعادلات ، لا بد من أن نسأل أنفسنا دائماً أين الخلل ؟ .



أين الخلل في أمة المليار وثمانمائة مليون مسلم؟

أخوانا الكرام ؛ يعني كحقيقة مريحة هذا الدين الإسلامي العظيم دين جماعي ودين فردي ، معنى الجماعي : لو أن الجماعة طبقته لانتصرت ، ودين فردي لو أن الواحد طبقه لقطف معظم ثماره ، إذا الواحد طبقه ، يعني إذا ليس لك أن تقول : ماذا أفعل الناس كلهم تركوا الدين هذا كلام خطأ .

لذلك أيها الأخوة ؛ هذه الأمة أمة القرآن ، أمة الوحيين ، أمة خصها الله بهذه الرسالة أمة وعدها الله أن تكون خير أمة ، علة خيرتها

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

فإذا قصرنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنا كأي أمة خلقها الله .

معرفة الأمر والآمر

أيها الأخوة الكرام ؛ الآن الملمح الثاني في هذا اللقاء الطيب ، في عنا شيء اسمه أمر وعنا أمر ، أرجو أن يكون هذا الكلام محور هذا اللقاء ، أنت إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في النفلت من الأمر .
للتقريب : قد تأتيك ورقة من دائرة البريد أن تعال غداً الساعة العاشرة تسلم رسالة مسجلة ، لا تتحرك شعرة بيدك وقد تذهب وقد لا تذهب ، وقد تأتيك ورقة من جهة إن دخلت إلى البناء قد لا تخرج منه ، لا تنام الليل ، ما الفرق بين الورقتين ؟ الأمر .
إذا عرفت من هو الأمر ، ما عنده من عطاء لو أطعته ، ما عنده من عقاب لو عصيته ، لعددت للمليون قبل أن تعصيه .
أخوانا الكرام ؛

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

[سورة الطلاق الآية : ١٢]

دققوا ، الآن القرآن كله ، وهذا الكون كله سيلخص بكلمتين

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

[سورة الطلاق الآية : ١٢]

أختار من أسماءه اسم التقدير والعليم ، للتوضيح :

أحد الأخوة الكرام يركب مركبته ، والإشارة حمراء والشرطي واقف ، وفي ضابط بسيارة بطرف آخر ، وفي شرطي على دراجة نارية يلحق ، وأنت مواطن عادي ، ممكن تتجاوز الحمراء ؟ عندنا مستحيل ، وعنكم مستحيل أعتقد ، لماذا ؟ لأن الذي وضع قانون السير ، دقق علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، في حجز مركبة ، في مبلغ كبير ، فأنت مع واضع قانون السير لا يمكن أن تعصيه إذا كان يعلم وسيعاقب ، ارجع لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

نقطتين ، اختار الله من أسماءه اسمين :

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

علمه يطولك وقدرته تطولك ، فكيف تعصيه ؟

تَعْصِي الإِلهِ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ ذَاكَ لِعَمْرِي فِي الْمَقَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

كأنني سمعت قبل أن آتي إليكم أن أبي مدين شعيب من هنا ، من تلمسان ، دفين التلمسان ، ما شاء الله ! الأبيات له قال :

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
ولو لاح من أنوارنا لك لاح تركت جميع الكائنات لأجلنا
فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلنا
فأيسر ما في الحب للصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

أيها الأخوة الأحباب ؛ محور هذا اللقاء الطيب في أمر وفي أمر ، إن عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تقانيت في طاعة الأمر ، إن عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في التقلت من الأمر كيف أعرف الأمر ؟ الأمر له آيات كونية ، يعني آيات كثيرة ، لكن أوضح هذه الآيات : أن بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية فقط ، يقطع الضوء في الثانية ثلاث مئة ألف كيلو متر ، بالدقيقة ضرب ستين ، بالساعة ضرب ستين ، باليوم ضرب أربع وعشرين ، بالسنة ضرب ثلاث مئة وخمسة وستين ، أربع سنوات ضرب أربعة ، يعني ابنك الصغير بالدقائق مع آلة حاسبة يحسب لك المسافة بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب عدا الشمس ، لو في مركبة أرضية وتوجهنا إلى هذا الكوكب الذي هو أقرب كوكب على الإطلاق كوكب ملتهب عدا الشمس لاحتجنا إلى ، يقلك ركبت طائرة مشيت اثني عشرة ساعة ، لاحتجنا إلى خمسين مليون عام ، محسوبة بدقة ، خمسين مليون عام من أجل أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب ، نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية ، ضرب ألف معناها ، المرأة المسلسلة مليوناً سنة ضوئية ، أحدث مجرة أربع وعشرون ألف مليون سنة ضوئية ، اقرأ القرآن :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة الآية : ٧٥_٧٦]



لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطيك شيئاً ويضل المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل .

إذا التفتكر في خلق السماوات والأرض يضعك وجهها لوجه أمام عظمة الله ،

التفكر في خلق السماوات والأرض أوسع باب ندخل منه على الله ، التفكر في خلق السماوات والأرض أقصر طريق إلى الله ، لأن في القرآن ألف وثلاث مئة آية كونية هي ، هذه الآيات ما الموقف منها ؟

﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٩٠-١٩١]

أخوانا الكرام ؛ مرة ثانية سامحوني ، إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعته ، أما إذا الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في معصيته ، فكأنني وضعت يدي على مشكلة المسلمين الأولى ، الأمر معروف بالابتدائي ، والمتوسط ، والتوجيهي ، والجامعة ، أحكام الصلاة والصيام ، والحج ، والزكاة ، والكذب ، والربا ، وما إلى ذلك ، الأمر بين أيدينا لكن ضعف معرفتنا بالخالق ، الخالق له آيات كونية هذا الكون .

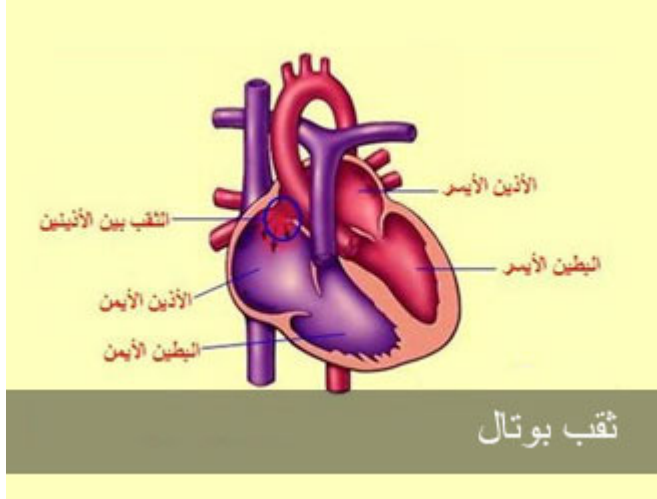
يعني مثل بسيط : هذا الكأس من الماء في بالماء خاصة لولا هذه الخاصة ما كانت هذه المحاضرة ، ولما كانت تلمسان كلها ، ولا الجزائر ، ولا شمال إفريقيا ، ولا الشرق الأوسط ، ولا الأرض ، ما هذه الخاصة ؟ أن هذا الماء شأنه كشأن أي مادة إذا سخنتها تتمدد ، كأى مادة ، وإذا بردتها تنقلص ، فإذا بردناها من عشرين إلى خمسة عشر ، من اثني عشر ، إلى عشرة ، عم تتكمش إلى ثمانية ، إلى سبعة ، إلى ستة ، إلى خمسة ، إلى أربعة ، شيء يصعب تفسيره ينعكس القانون ، يتمدد الماء ، لولا هذا القانون ما في حياة على سطح الأرض ما الذي يحصل ؟ البحار تتجمد ، فإذا تجمدت وكثافتها زادت تغوص ، فإذا غاصت تجمد الماء الذي فوقها تجمد غاص بعد حين تتجمد البحار ، ينعدم التبخر ، تنعدم الأمطار ، يموت النبات ، يموت الحيوان ، يموت الإنسان ، حياتنا جميعاً حياة أهل الأرض منوطة بقانون بالماء ، هذا الماء يتميز أنك إذا بردته كأى عنصر آخر ينكمش ، أما عند زائد أربعة يتوسع ، والدليل :

أنتِ بضرورة أملأها إلى الأخير ، احكم إغلاقها ، ضعها في الثلاجة تنفجر ، الماء يتمدد لأن ، ما هذا القانون ؟ هذا القانون سر حياة البشر كله ، هل درسنا هذا القانون ؟ الإنسان بعينه في ماء لو سافر إلى القطب الشمالي ، أو إلى دول قريبة من القطب الشمالي ، ستين تحت الصفر ، أقل درجة حرارة ٦٧ تحت الصفر في القطب الشمالي ،



لولا خاصية تمدد الماء بالبرودة لما وجدت حياة

لو سافر واحد إلى هناك وفي بعينه ماء ، الماء يتجمد يفقد بصره ، من أودع في ماء العين مادة



مضادة للتجمد ؟ يد من ؟ حكمة من ؟ رحمة من ؟ أقسم لكم بالله الآيات التي في أجسامنا ، وفي طعامنا ، وشرابنا ، وفي من حولنا شيء لا يصدق ، هذا الطفل في رحم أمه ، برحم ما في هواء ، نفس ما في ، وله رئتان معطلتان الله عز وجل فتح بين الأذنين ثقب ، اكتشفه عالم فرنسي اسمه بوتال ، الدم بدل أن ينتقل من القلب إلى الرئتين ليتجدد

أوأكسجينه ، ينتقل من أذين إلى أذين اختصاراً ، والرئة معطلة ، عند الولادة تأتي جلطة تغلق هذا الثقب ، هكذا قال لي الدكتور في الجامعة ، لكن هذه الجلطة بيد من ؟ لو لم تأتي هذه الجلطة صار في مرض اسمه مرض خطير ، يموت الطفل بعد أشهر ، يعني بصير لونه أصفر دائماً ، الزرقان هذا المرض يميت الطفل ، هذا الثقب ثقب بوتال الذي كشفه عالم فرنسي تأتي جلطة تغلق هذا الثقب ، بيد من ؟ لكن لحكمة بالغة الله يبقي بين كل ٥٠٠ ألف طفل واحد مفتوح الثقب تبعه ، ليكون تعريف للخلق بعظمة هذا الثقب ، ثقب بوتال .

إذاً الإنسان إذا نظر إلى خلقه ، يعني لو الله أودع بالشعر أعصاب حس ، ماذا تفعل ؟ أين ذاهب؟ والله إلى المستشفى ، خير إن شاء الله ؟ والله بدي أحلق ، بدك عملية جراحية بدك تخدير كامل ، من أجل أن تحلق ، من الذي ألغى أعصاب الحس بالشعر ؟ من الذي ألغى أعصاب الحس بالأظافر ؟ الله عز وجل ، في أشياء بين أيدينا .

أخوانا الكرام ؛ والله العين يحكى عليها سنة ، الآن مثلاً آخر غشاء بالعين شفاف كيف شفاف ؟ لأنه لو كان يتغذى بالأوعية الشعرية سوف ترى من شبكة ، أول خلية تأخذ غذائها وغذاء جارتها

وينتقل الغذاء عبر الغلاف الخلوي ، من الذي اختص هذه الطبقة في العين بأن تكون شفافة شفافية تامة ؟ من أجل صفاء الرؤية ، والله يا أخوان أجسامنا فقط وكل إنسان قادر يفكر ليعرف عظمة الله من أجسامنا ، والله قال :

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْنَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

الطعام ، الشراب ، يعني مثلا القمح :
المحاصيل تنضج في يوم واحد ، أما
الفواكه لي أخ عنده حقل بطيخ قال لي:
بجمع بطيخ ٩٠ يوم ، بثلاثة أشهر ، لو
كان البطيخ ينضج بيوم واحد ماذا نفعل
فيه ؟ نحتاجه طوال شهر الصيف ،
الفواكه نضجها متدرج ، أما المحاصيل
لو كان كل قمحة بدنا نمسكها استوت
نقطعها ، شيء لا يحتمل ، المحاصيل



بيوم واحد ، فكر الأشياء بين أدينا موضوع الماء ، موضوع الطعام ، الفواكه ، الثمار شيء لا يصدق .

إخوانا الكرام ؛ إن عرفته ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته من هنا قال الله عز وجل

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس الآية: ٢٤]

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

[سورة الطارق الآية: ٥]



يعني هذا الحويين يلقيح البويضة ، باللقاء الزوجي يتم فرز ٣٠٠ مليون حويين ، وتحتاج بويضة واحد ، ما هذا الخلق العظيم ؟ أقسم لكم بالله لو أمضينا سنوات ، تلو سنوات في الحديث عن عظمة خلق الإنسان لا ننتهي ، هذا الإله العظيم يعصى ؟ ألا يكسب وده ؟ ألا ترجى جنته ألا تخشى ناره ؟ إذا :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ

رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾

[سورة الطارق الآية: ٨_٥]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾

[سورة عبس الآية: ٢٤_٢٥]

﴿إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾

[سورة الغاشية الآية: ١٧]

﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾

[سورة الغاشية الآية: ٢٠]

آيات تدعونا إلى التفكير ، ما الذي يمنع أن الإنسان من حين إلى آخر ، صباح كل يوم يفكر بآية من آيات الله حتى تزداد عظمة الله عندهم .

الغفور

إخواننا الكرام ؛ في آية أخرى أردت أن تكون محور هذا الحديث الطيب إليكم إن شاء الله :

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

[سورة الانفطار الآية: ٦]

لماذا يغتر الإنسان بالله عز وجل ؟ الله غفور رحيم ، الله قال :

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾

[سورة النحل الآية: ١١٠]

الذين تابوا وعملوا الصالحات .

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٣]

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْمَلِيمُ﴾

[سورة الحجر الآية : ٤٩-٥٠]

فالفقرآن بين أيدينا ، يعني أنا أتمنى ألا تغتر ، أي ألا تظن أن هذا الشيء ، مفهوم العوام أحيانا يعمل غرور ، يعني مرة إنسان يعمل في محل تجاري ، عمل عمل سمعته أنا ، جمع القمامة بعلبة فخمة ، وغلفها بغلاف هدايا ، وشريط أحمر وردة ، ووضعها على طرف الرصيف فإذا أحد المارة أخذه وأسرع ، قام لحقه ، بعد مئة متر فتح الشريط ، متوقع هدية ألماس ، أو ذهب أو شي ، بعد مئة متر ثانية ، فتح الورق بعدين فتح العلبة طلع قمامة المحل ، هي الحادثة الغريبة جدا ، أقسم لكم بالله سوف يشهدا الإنسان الذي اغتر بالحياة الدنيا :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

[سورة فاطر الآية: ٥]

في آية كريمة تقول :

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

[سورة الانفطار الآية: ١٣-١٤]

هذا كلام خالق الأكوان ، يعني ألا تعتقد معي أن وعد الله حق ، وأن زوال الكون أهون على الله
ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾

[سورة الانفطار الآية: ١٣]

نعيماً لا ينفذ ، أنا أسأل الله لكم أن تتصل نعم الدنيا عندكم بنعم الآخرة ، يعني إنساناً أحياناً يغادر
قبل أن يغادر ينادى .

((أن عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك

غيري ، وأنا الحي الذي لا يموت))

[ورد في الأثر]

تصور من بيت إلى قبر ، من بيت من
عدة غرف ، أصدقاء ، سهرات ،
حفلات زيارات ، سفر ، ولائم ، إلى
قبر ، ماذا في القبر ، البطولة أن تفكر
في المصير ، يعني أنا أقول لكم التفكر
بالموت في أحاديث تأمر به أكثروا ذكر
هادم اللذات ، ومفرق الأحاب ،
ومشنت الجماعات .



مرة قصة قديمة جداً كنت في شيكاغو سرت على شريط متحرك كان نادر الآن في كل المطارات
فيه شريط متحرك ، أنا واقف على الشريط يمشي سرعتي مضاعفة عن الناس وفي سور ، أولاً
السرعة مضاعفة ، والسور يمنعني أن أبتعد عن الشريط يمناً أو يسرى ، كيف ربطت هذا
الشريط مع هذا الحاجز بالموت ، الموت ، التفكير بالموت يسرع السير إلى الله ، والتفكر بالموت
يمنع أن تذل قدمك يمناً أو يسرى ، أكثروا ذكر هادم اللذات ، ومفرق الأحاب ، مشنت
الجماعات .

((عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

أيها الأخوة :

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

[سورة الانفطار الآية: ١٣-١٤]

الآن الله عز وجل يخاطب هذا الإنسان :

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأَقِيهِ﴾

[سورة الانشقاق الآية: ٦]

بالآخرة موضوع آخر ، بالآخرة :

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

[سورة ق الآية: ٣٥]

بالآخرة أطلب تعطى ،

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾

أي شيء طلبته بين يديك .

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

[سورة الحاقة الآية: ٢٣]

أما بالدنيا لا بد من عمل صالح ، لا بد من جهد

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾

فذلك قالوا : طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب ، إذا الآية الأولى :

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾

[سورة ق الآية: ٣٥]

بالآخرة ، في الدنيا

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾

يعني حجمك بالدنيا بحجم عملك الصالح ، الآن دقق في طريق أنت راكب مركبة ، في صخرة بالطريق على حجم المركبة فيك تكمل ؟ ما بتقدر ، هذه عقبة ، طيب أزلتها ، في عقبة ثانية ، المعاصي عقبات في الطريق إلى الله .

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

[سورة المطففين الآية: ١٥]



المعاصي والمخالفات عقبات في الطريق إلى الله ، الآن الحالة الأولى أنا أزلت هذه العقبات أزحت هذه الصخور ، الطريق سالك ، لا يكفي ، لا بد من حركة على هذا الطريق ، الحركة العمل الصالح ، الاستقامة سلبية ، ما أكلت مال حرام ، ما غشيت ، ما اغتبت ، ما كان الإنسان عاق لوالديه ، كلها ما هي استقامة ، العمل الصالح ؛

أعطيت ، أنفقت ، نصحت ، دعوت ، بنيت مسجد ، فالعمل الصالح إيجابي عطاء .

لذلك أحد المؤلفين ألف كتاب عن رسول الله قال : (يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل ، ونهنت غريزة القطيع يا من هياك تفوقك لتكون واحد فوق الجميع ، فعشت واحد بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك) .

أقول لك وأنا أعني ما أقول : إن أردت أن تعرف نفسك ما إذا كنت من أهل الجنة أم من أهل الآخرة ، قل لي بصدق ما الذي يسعدك ، أن تأخذ أم أن تعطي ؟ الأنبياء أعطوا ، والأقوياء أخذوا ، والمؤمن يأخذ ويعطي ، ينبغي أن يسعدك أن تعطي ، أن تعطي من وقتك ، من مالك ، من علمك ، من خبرتك ، أن تعطي بلسانك ، بيدك ، بعملك ، بسفرتك ، هذا العطاء ، فلذلك الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، والمؤمن مسموح له أن يأخذ وفق منهج الله ، وأن يعطي ممن أعطاه الله عز وجل ، يعني صباحا تدعو في الصلاة اللهم هب لنا عمل صالح يقربنا إليك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينه ، وشتت عليه شمله ولم يؤتية من الدنيا إلا ما قدر له ، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغما))

[أخرجه الترمذي]

فلذلك أيها الأخوة ؛ نحن بحاجة إلى مذكر دائم ، بحاجة إلى شحن كهذا الهاتف الخليوي إذا ما شحنته ينطفئ ويسكت انتهى ، وأنت مثل هذا الهاتف ، طبعاً مع الفارق بحاجة إلى شحن يومي الشحن نوعان ، شحن فكري بحضور درس علم ، وشحن روحي بعقد صلة مع الله عز وجل ، الآن الله عز وجل يقول :

﴿مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾

[سورة إبراهيم الآية:٤٦]

الآن دقق :

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[سورة إبراهيم الآية:٤٦]

بربكم لو اجتمعت دول الأرض أن تزيح جبل من مكانه تستطيع ؟ لا تستطيع ، كلام خالق الأكوان

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

الآن اسمع الآية الأخرى :

﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضْرِكُمْ كَيْدَهُمْ شَيْئاً﴾

[سورة آل عمران الآية:١٢٠]

لمجرد أن نصبر وأن نتقي الله هذا الكيد وهذا المكر يلغى ، فذلك المعصية مع الصبر ما في بعدها إلا القبر ، أما الطاعة مع الصبر في بعدها النصر ،

﴿وَأِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾

الفلاح والمفلحون .

أيها الأخوة ؛ الغريب أن بالقرآن الكريم بأكمله في ثلاثة آيات فقط حول الفلاح ، ما هو الفلاح ؟ في نجاح ، النجاح : أن تنجح في كسب المال معك ملايين مُملينة ، النجاح أن تصل إلى مكان رفيع هذا نجاح ، النجاح ممكن أن احكي لك عنه عشر ساعات ، ما هو الفلاح ؟ الفلاح أن تنجح في الدنيا والآخرة معا .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة البقرة الآية:٥]

الفلاح أن تنجح في تحقيق الهدف الذي خلقت من أجله هذا هو الفلاح ، فذلك الفلاح الفلاح أن تنجح في تحقيق الهدف الذي خلقت له ، من هنا قال الله عز وجل :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

[سورة النساء الآية:١٤٦]

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾

معنى ذلك : رد فعل إن آمنت وشكرت حققت الهدف بوجودك لماذا ؟ لأن هذا الكون مسخر لنا تسخرين : تسخير تعريف وتسخير تكريم ، رد فعل التعريف أن تؤمن ورد فعل التكريم أن تشكر ، فإذا آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك وعندئذ تستحق جنة الدنيا وجنة الآخرة .

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

[سورة الرحمن الآية:٤٦]

أخوانا الكرام ؛ أحيانا يعني في دليل على فساد الإنسان غير موضوع الأفكار ، قال تعالى :

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

[سورة العلق الآية:٩-١٠]

الآية عجيبة ، أين التهمة ؟

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

كأن الله يقول لك انظر إلى أخلاقه ، إلى مواعيده ، انظر إلى علاقته ، أنظر إلى كسب ماله ، انظر إلى نفق ماله يعني .

﴿وَأِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٧٤]

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون الآية:١-٢]

يعني لو أن الإنسان انحرفت عقيدته يبقى مستقيماً قضية لها تفسير آخر ، بس مستحيل وألف ألف مستحيل أن تتحرف العقيدة دون أن تتعكس انحرافك في السلوك ، إذاً هذا معنى قوله تعالى :

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

بعد ذلك :

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾

[سورة العلق الآية: ١١-١٢]

أنت درست سلوك الإنسان ، المؤمن صادق ، لذلك سيدنا جعفر ابن أبي طالب لما وقف أمام النجاشي هذا النجاشي سأله عن الإسلام قال :

((أيها الملك كنا قوم أهل الجاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الرحم ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله فينا رجلاً ، نعرف أمانته ، وصدقه وعفافه ، ونسبه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

يعني إذا حدثك فهو صادق ، وإذا عاملك فهو أمين ، إذا استثيرت شهوته فهو عفيف أخلاق . عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إنما بعثت معلماً))

[أخرجه الحارث في مسنده وأبو داود الطيالسي في مسنده]

عن أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

[أخرجه البزار في مسنده والإمام أحمد في مسنده]

النبي الكريم أفصحنا ، وأجملنا ، ممكن حدثك ساعة عن صفاته ، لكن حينما أراد الله أن يثني عليه أتى على أخلاقه ، قال له :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم الآية: ٤]

يعني كأن الله عز وجل يقول يا محمد أنت أنت :

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٤]

معه وحي ، ومعهم قرآن ، ومعهم فصاحة ، ومعهم جمال ، ومعهم كمال ، ومعهم حسب ومعهم نسب ، وقال له أنت أنت بذات

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

فكيف لإنسان ما عنده فصاحة ، ولا بيان ، ولا جمال ، ولا كمال ، ولا وحي ، ولا قرآن وغليظ ، لماذا الغلظة يا أخي ؟ نحن نريد دعوة متوازنة .

أيها الأخوة الكرام ؛ لذلك الله عز وجل قال :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾

﴿ مِنْ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

فبما رحمة من الله ، يعني يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك لنت لهم ، فلما كنت لينا لهم التقوا حولك ، أنا فيني أدرس قانون من هذه الآية يسمى قانون الالتفاف والانفضاض ، في أب ما يتمنى أن يلتف أبناءه حوله ، في مدير مؤسسة ما يتمنى أن يلتف الموظفين حوله ، كل إنسان يتمنى إذا كان بمكان قيادي أن يلتف الناس حوله ، قانون الالتفاف والانفضاض هذا هو :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

أنت اتصلت بنا يا محمد فامتلى القلب رحمة انعكست الرحمة لينا ، هذا اللين جعل من حولك يلتفون ويتعاونون ، وأنت أنت بذات

﴿ وَكَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

فأنا أقول هذه الآية يحتاجها كل أب ، وكل أم ، وكل معلم ، وكل مدير مؤسسة ، أي منصب قيادي على عشر أشخاص .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

أيها الأخوة الكرام ؛ بقي شيء واحد وأخير طبعاً أشير إلي بقي خمس دقائق مضى ثلاث ونصف على ما أعتقد ، آخر شيء هناك اختلاف طبيعي ، يعني غداً واحد رمضان ، اليوم ٢٩ شعبان سمعنا صوت مدفع ، عندكم مدفع للإثبات ؟ ما في عندكم مدفع ، معنا بالشام في مدفع سمعنا صوت مدفع ، يا ترى مدفع رمضان ولا تفجير



البعد عن غلظة القلب مطلوبة

بجبل ؟ لا نعرف ، هذا اختلاف طبيعي سببه نقص المعلومات ، أحياناً مع بعضنا بسبب نقص المعلومات هذا لا يمدح ولا يذم ، أما أخطر اختلاف ، الاختلاف القدر اختلاف اللهو .

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَلْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٩]

العلم موجود وفي خلاف ، والخلاف المحمود اختلاف التنافس ، هذا يريد أن يسبق أخاه في إنفاق المال ، هذا في الدعوة إلى الله ، فبين اختلاف طبيعي ، واختلاف قدر ، واختلاف محمود وهو الاختلاف في العمل الصالح .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون جميعاً في طاعة الله عز وجل ، وأن يحفظ لكم إيمانكم ، وأهلكم ، وأولادكم ، وصحتكم ، ومالكم ، وبلدكم ، إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين